الإرشاد الرسولي التابع للسينودس

رجاءٌ جديدٌ للبنان

الفصل الثاني

في الكنيسة تأسيس الرجاء على المسيح

دعوةٌ إلى الرجاء

أولاً. الكنيسة سرّ شركة– أبعاد هذا السرّ

شركةٌ في الروح القدس، النسمة الإلهيّة للوحدة في التنوّع

ثانيًا. المسيح هو رجاء المسيحيّين–المسيح، الراعي الصالح لشعبه

المسيح، نور العالم الحقيقيّ

المسيح، قدرةُ الله

دعوةٌ إلى الرجاء

إنّ آباء السينودس، انطلاقًا من فحصٍ متيقّظٍ **لوضع الكنيسة الراهن في بلدهم**، عادوا باستمرارٍ إلى ناحيتين أساسيّتين من السرّ المسيحي، بدا لهم من الضروريّ التعمّق فيهما. فعلى المؤمنين جميعًا أن يحيوا بعمقٍ **سرَّ الكنيسة، شركةِ** البشر مع الله وفي ما بينهم، وأن **يؤسّسوا رجاءَهم على المسيح**. بناءً على أفكار الجمعيّة الخاصة، أدعو أعضاء الكنيسة إلى التأمّل في هذه المواضيع، ليستجيبوا دائماً أفضل الاستجابة لإرادة الرب في حياتهم الكنسيّة. وهكذا يُدركون إدراكًا أكمل أبعاد الموضوع الذي قاد كلَّ المسيرة السينودسيّة: "المسيح رجاؤنا: بروحه نتجدّد ومعًا للمحبّة نشهد".

أولاً. الكنيسة سرّ شركة

أبعاد هذا السرّ

لا تقتصر الكنيسة على بُعدها المنظور، الذي قد يُظهرُها بمظهر الطائفة المنظَّمة وحسب؛ فهي، في سرّها، في شركةٍ مع الجماعة السماويّة غير المنظورة: "إنّ كنيسةَ الأرض والكنيسةَ الغنيّةَ بنعم السماء يجبُ ألاَّ يُعدّا حقيقتين، بل هما حقيقةٌ واحدةٌ مركَّبة، مكوّنةٌ من عنصرٍ بشريٍّ وعنصرٍ إلهيٍّ مرتبطين أحدُهما بالآخر ارتباطاً وثيقًا (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 8). ويعلن أيضًا المجمع الفاتيكاني الثاني أنَّ الكنيسةَ مؤسَّسةٌ "مجهَّزةٌ بالوسائل المؤاتية لأجل اتّحادها الظاهر والمجتمعي" (**المرجع السابق**، رقم 9)، وهي التعبير عن شركة البشر مع الله وفي ما بينهم. إنّها "في المسيح بمثابة السرّ، أي العلامة وأداة الاتّحاد الحميم بالله ووحدة الجنس البشريّ برمّته" (**المرجع السابق**، رقم 1). إنّ مصيرَ الجميع هو نفسه مصيرُ الكنيسة، "إذ إنّها سرّ الاتّحاد الشخصيّ بين كلّ إنسان والثالوث الإلهي ومع سائر الناس، هذا الاتّحاد الذي بدأ في الإيمان، ويتّجه نحو اكتماله النهيوي في الكنيسة السماويّة، وإن كان في الوقت عينه في نواته حقيقةً في

الكنيسة على الأرض" (مجمع عقيدة الإيمان، **رسالة الى أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة عن بعض نواحي الكنيسة مفهومة كشركة** (1992/5/28) : AAS 85 (1993), p. 839).

إنّ مفهوم **الشركة** مهمٌّ لنعيَ الوعيَ الصحيحَ طبيعةَ الكنيسة. فهو يتضمَّن دومًا بعدًا مزدوجًا: **عموديًّا** (الشركة مع الله)، **وأفقيًّا** (الشركة بين الناس)، وناحيةً مزدوجة: **منظورةً** (وضع الإنسان الجسدي والاجتماعي)، **وغيرَ منظورة** (اتّحاد النعمة مع الله، وفيه، مع جميع الناس) (را: **المرجع السابق**، 3–4؛ **المرجع المذكور**، ص 839–840).

الكنيسة، على صورة سيّدها، حقيقةٌ "إلهيّة وإنسانيّة تُعاشُ في الزمان والمكان مع كلّ ما يستتبع ذلك من أوضاع تاريخيّة وجغرافيّة واجتماعيّة وثقافيّة. وهي متأصّلةٌ في هذا الواقع الملموس الذي تتّخذ منه ملامح وجهها المميّز وطابعها الخاص" (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **الخطوط العريضة**، رقم 16). إنّ صورةَ "الجسد" تعني في آنٍ معًا أنّ الكنيسة "ملتئمة **حول** [المسيح]، موحَّدةٌ **فيه**، في جسده" (**التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة**، رقم 789)، وأنّ "وحدةَ الجسد هذه لا تزيلُ تنوّع الأعضاء: "في عمل بناء جسد المسيح، تتنوّعُ الأعضاء والوظائف. واحدٌ هو الروحُ الذي يوزّعُ مواهبَه، بحسب غناه ومقتضيات الخِدَم، لفائدة الكنيسة" (را: 1كو12:1–11)". الكنيسة تظهر، في مجملها كما على صعيد جماعة الرعيّة، "في كثير من **التنوُّع** الذي يأتيها من تنوُّع مواهب الله ومن تعدُّد الأشخاص الذين يتقبّلونها. في وحدة شعب الله، تتجمَّعُ الشعوبُ والثقافاتُ المختلفة. يوجدُ بين أعضاء الكنيسة تنوُّعٌ في المواهب والوظائف والأوضاع وأنماط العيش" (**المرجع السابق**، رقم 814).

يتجلّى **سرُّ الكنيسة في الكنائس الخاصّة**، إذ "توجد على وجهٍ شرعيّ، ضمن الشركة الكنسيّة، كنائسُ خاصّةٌ تتمتَّعُ بتقاليدها الخاصّة" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 13). "**الكنيسة الخاصّة**"، المدعوَّةُ أيضًا "**أبرشيّة**"، تعني بالتحديد "قسمًا من شعب الله وُكلَ أمرُ رعايته إلى أسقفٍ يرعاه بالتعاون مع مجلس كهنته" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **قرار في مهمّة الأساقفة الراعويّة**، رقم 11؛ را: **مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة**، ق 177، 1). والأسقف، لكونه خليفةَ الرسل، هو مبدأُ وحدة كنيسته (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 23) وأساسها، يصون ثباتَها ونموّها، عندما يعلّم بأمانةٍ كلمةَ الله، ويرئس، بشخصه أو بوساطة مندوبٍ عنه، العبادةَ المقدَّسة، ولاسيّما الافخارستيّا، ويقود بحكمة ومحبّة مؤمني الرعيّة الموكولة إليه (را: **المجمع السابق**، رقم 25–27).

في لبنان كما في الشرق كلّه، باستثناء النيابة الرسوليّة اللاتينيّة، تجتمع الكنائس الخاصّة ملتئمة بموجب التقليد في **بطريركيّات**. "إنّ النّظام البطريركيّ قائمٌ في الكنيسة منذ أقدم الأيام، وقد أقرّته المجامعُ المسكونيّة بعينها" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **قرار في الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة**، رقم 7؛ را: المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 23). ويتمتّع البطريرك"، بصفته "الأب والرئيس" (**المرجع السابق**، رقم 9)، بحقّ الولاية على جميع الأساقفة، بمن فيهم المتروبوليتون، وعلى الإكليروس والشعب في نطاق ولايته أو طقسه، وفاقًا لحدود القانون، ومع الحفاظ على أوّليّة الحبر الرومانيّ" (**المرجع السابق**، رقم 7). فهو إذًا رمز وحدة كنيسته البطريركيّة؛ وهو يضمنُ الأمانة لتقليد كلّ بطريركيّته الليتُرجيّ واللاهوتيّ والروحيّ والتنظيميّ، والشركةَ مع خليفة بطرس. "والبطاركةُ مع مجامعهم يؤلّفون المرجعَ الأعلى في جميع شؤون البطريركيّة" (**المرجع السابق**، رقم 9).

هذه الكنائس البطريركيّة العريقة في القِدم تملكُ تراثًا جليلاً، بحيث إنّ "حيويّته، ونموّه ونشاطه [...] في تحقيق الرسالة التي أُوكلت اليها" ليست جديرةً بأن تُحترَم وتصانَ وحسب، بل أن تُثبَّتَ وتُشَجَّعَ أيضًا (را: **قرار في الكنائس الشرقية الكاثوليكيّة**، رقم 1) (البابا يوحنا بولس الثاني، خطاب لتقديم مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة لآباء السينودس (1990/10/25)، رقم 4: DC 87 (1990), p. 1085.). وقد أقرّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني شرعيّتها بكلّ وضوحٍ: "لقد شاءت العناية الإلهيّة أن تجتمعَ الكنائسُ المختلفة، التي أسّسها الرسلُ وخلفاؤهم في أماكن شتى، في مرّ الزمن، في مجموعات متعدّدة تتّحدُ اتّحادًا عضويًّا، وتتمتّعُ، بدون ما ضيرٍ لا لوحدة الإيمان ولا لمنشأ الكنيسة الجامعة الإلهيّ الواحد، بنظامها الخاصّ، وبعاداتها الليتُرجيّة الخاصّة، وتراثها اللاهوتيّ والروحيّ. وإنَّ البعضَ منها، وبخاصّة الكنائس البطريركيَّة العريقة في القِدم، كنَّ بمثابة أمهات كنائسَ أُخرى بالايمان، لا تزالُ تربطُها بها، حتى اليوم، صلاتٌ وثيقةٌ من المحبّة في حياة الأسرار، وفي الاحترام المتبادَل في الحقوق والواجبات. وإنَّ هذا التنوّعَ في الكنائس المحلّيّة ليدلّ أسطع دلالة، بالتقائها في الوحدة، على أنّ الكنيسة جامعةٌ لا تتجزّأ" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 239).

في هذا الإطار، يمكن أن تتّسم **الكنائس البطريركيّة** الكاثوليكيّة في لبنان بطابع نبويّ (را: سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **تقرير ما قبل المناقشة**، رقم 22: C 93 (1996), p. 31.)، إذا استطاعت كلٌّ منها أن تنمىَ، بالانسجام مع الآخرين وفي الأمانة المطلقة لوحدة الكنيسة الجامعة – وحتى بفضل هذه الوحدة –، هويّتَهَا الخاصّة والثروات التي تتميّزُ بها. يجب ألاّ نبحث عن الوحدة في انتظام النسق بل في المحبّة المتبادَلة، وفي بذل الذات والثروات، وفي المحبة التي توحّدُ كلَّ الكنائس. هذا ما تسعى إلى عيشه الكنائس ذات الحقّ الخاصّ والنيابة الرسوليّة اللاتينيّة في لبنان، لاسيّما في مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، الذي إنّما أُنشِئَ "لتصير حياةُ الكنيسة في لبنان مصدَر انسجامٍ وثروةٍ لأبنائه، وأيضًا شهادةً مستمرّة للتفاهم والتعاون المثمر بين جميع اللبنانيين" (**التوصية** 22).

شركةٌ في الروح القدس، النسمة الإلهيّة للوحدة في التنوّع

إدراكاً عمق حقيقة الحياة في الكنيسة، لا بدّ من التأمّل في حضور الروح القدس فيها، هذا الروح الذي يحييها: "ولقد شبّه الآباء القدّيسون فعلَه بالوظيفة التي يقوم بها مبدأُ الحياة في الجسد، أي النفس" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 7).

الروح هو عطيّة الآب الكبرى (را: أع 2:1–4) وعطيّة ابنه، يسوع المسيح (را: يو 22:20) للكنيسة. هذه العطيّة المجّانيّة هي ثمرة تمجيد الربّ، في موته على الصليب وفي قيامته (را: يو 16:12؛ 31:13–32). وقد وعد به المسيح تلاميذه في ليلة موته: "إنَّ في انطلاقي لخيرًا لكم؛ فإن لم أنطلقْ لا يأتكم المعزّي؛ وأمّا إذا انطلقتُ، فإنّي أرسلُه اليكم" (يو 7:16).

إن حلول الروح يوم العنصرة يوحي بخلق جديد. فإنّ يسوع، في مساء قيامته، نفخ في تلاميذه وقال لهم: "خذوا الروح القدس" (يو 22:20). لقد أعطاهم قلبًا واحدًا، ووضع فيهم روحًا جديدًا (را: حز 19:11). وقد ذكّرت هذه الحركة بالخلق الأوّل للإنسان: "وجبل الربُّ الإله ترابًا من الأرض و"**نفخ**" في أنفه نسَمة حياة، فصار الإنسانُ نفسًا حيّة" (تك 7:2)؛ في هذه الحركة، يومَ العنصرة، تتجلّى الخليقةُ الجديدة.

ولقد حوّلت عطيّةُ الروح التلاميذَ إلى **مُرسَلين**، على صورة معلّمهم: "كما أرسلني الآب، كذلك أنا أُرسلكم" (يو 21:20). ويرونه يوكلُ اليهم **رسالةَ المغفرة والمصالحة** (را: يو 23:20)، **رسالةً** تُعيدُ الوحدةَ المفقودةَ منذ الأزمنة القديمة. في يوم العنصرة، جمع الربُّ الناسَ حول الرسل الذين كانوا يُذيعون عظائمَه، و"كان كلُّ واحدٍ يسمعُهم ينطقون بلغته: [...] من البرتيّين، والماديّين، والعيلاميّين، وسكان ما بين النهرين [...] والكريتيّين والعرب" (أع 2: 6،9،11).

إن شركةَ الناس في ما بينهم ومع الله هي عمل الروح القدس، الذي يهبُنا أن نصيرَ على صورة الله. إنّه هو الذي يهبُنا الإيمانَ بالمسيح الربّ (را: 1كو 3:12). بالمعموديّة، يُمنَح الروحُ للمؤمنين، فيسكنُ فيهم كما في هيكل (را: أع 38:2 ؛ رو 9:8؛ 1كو 16:3؛ 19:6)، ويصيّرهم "أبناء الله" بالتبنّي، فهم "إذن ورثةٌ أيضًا؛ ورثةُ الله، ووارثون مع المسيح" (رو 17:8؛ را: غلا 4: 1–7). هذا التبنّي ليس مجرّدَ وصولٍ شرعيٍّ إلى الميراث، إنّما هو عطيّةُ الحياة الإلهيّة التي يشارك فيها الأقانيم الثلاثة: "والدليل على أنّكم أبناء، كونُ الله أرسلَ إلى قلوبنا روح ابنه، ليصرخَ فيها: أبّا! أيّها الآب" (غلا 6:4)، وهو يجعلنا على صورة المسيح. "نستطيع أن نعبدَ الآب لأنه وَلدَنا من جديد إلى حياته، بجعلنا أبناءً له بالتبنّي في ابنه الوحيد: بالمعموديّة، يضمّنا إلى المسيح وإلى جسده، وبمسحة روحه الذي يفيض من الرأس إلى الأعضاء، يجعل منّا "مسحاء" "(**التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة**، رقم 2782، الذي يستشهد بالقديس كيرلس الأورشليمي، **عظات في التنشئة المسيحيّة** 1: 3 "إن الله الذي سبق فدعانا الى التبنّي، قد جعلنا على صورة جسد المسيح المجّد. فمنذ الآن، وقد اشتركتم في المسيح، أنتم بحقٍّ تُدعون "مسحاء". را: سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **النداء**، رقم 7: "هذه القيامة هي أساس إيماننا ورجائنا، وهو يدفعنا دومًا الى التجدّد، موضوع مجمعنا الرئيسي، ليجعلنا على صورة المسيح": DC 93 (1996), p. 36).

إنّ المسيح، في يوم صعوده، أعطى تلاميذه رسالتهم: "إذهبوا، وتلمذوا جميعَ الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به" (متى 28: 19–20). وبتعبيرٍ آخر، الكنيسة مرسَلةٌ على دروب العالم "للدعوة بملكوت الله والمسيح، وإنشائه في جميع الأمم، وهي تكوّن على الأرض بَذرةَ هذا الملكوت وبدأه" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور عقائدي في الكنيسة**، رقم 5). "وهكذا تَظهرُ الكنيسة الجامعة "شعبًا يستمدُّ وحدتَه من وحدة الآب والابن والروح القدس" (**المرجع السابق**، رقم 4 مستشهدًا بالقديس كبريانوس، **في الصلاة الربيّة**، 29: PL 4, 55)، تحت رأس واحد، المسيح، الذي به وله صالح الله الكلّ مع نفسه "[بإقراره] السلامَ بدم صليبه" (كو1:20؛ را: أف 10:1). والكنيسة لا تني، بالعلاقة مع عطيّة الروح القدس، تعلن في قانون الإيمان إيمانَها بمغفرة الخطايا، ذلك السلطانِ الذي أودعه الربّ خَدَمتَه (را: القديس يوحنا الذهبيّ الفم، **في الكهنوت**، 3، 5 : PG 48, 643؛ **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة**، رقم 976–987). "إنّ الروح القدس، إذ يُدخل الإنسان في الشركة معه، يصيّره روحيًّا، [...] ويعيده إلى ملكوت السماوات وإلى التبنّي البنويّ، ويمنحه الثقة ليدعوَ الله أبًا ويشتركَ في نعمة المسيح، ويدعى ابنَ النور ويكونَ له نصيبٌ في المجد الأبديّ" (القديس باسيليوس أسقف قيصريّة، **مقال في الروح القدس**، 15، 36: PG 32, 132).

لقد كانت جمعيّة سينودس الأساقفة الخاصّة مدعاةً لفحصِ ضميرٍ كان القصدُ الأوّلُ منه إعدادَ الكنيسة في لبنان لتقبُّل فيضٍ أكبرَ من الروح. فالروح وحده يستطيعُ أن يقود إلى التوبة، إلى الارتداد الذي يحمل هذه الكنيسة على أن تدركَ أكثر دعوتَها

وتعيدَ سيرَها بحيويّةٍ جديدة، في روح مصالحةٍ بين المسيحيّين أنفسهم وبين المسيحيّين ومواطنيهم (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **أداة العمل**، رقم 32–34).

إنّ لنا مع الكنائس الأرثوذكسيّة مواقفَ مشترَكة في نقاطٍ هامّةٍ في ما يتعلّق بالإيمان بسرّ الكنيسة. فطُرقُ كنائس الشرق اللاهوتيّة وروحانيّاتُها قد نمت على مرّ الأجيال بشكلٍ جوهريّ حول موضوع تأليه الإنسان تأليهًا يبدأ على هذه الأرض. هذه النفحة هي عينها التي أحيَت جمعيّة سينودس الأساقفة الخاصّة من أجل لبنان: "نلتزم **الاستجابةَ بأمانةٍ لعمل التأليه الذي يعمله الله فينا**، ولامتداد ملكوت الله على الأرض" (**التوصية 2**، را: يوحنا بولس الثاني، رسالة **نور الشرق**، رقم 6 : AAS 87 (1995), p. 750). فالكنائس البطريركيّة الكاثوليكيّة هي إذًا متأصّلةٌ في التقليد تأصُّلاً عميقًا (را: يوحنا بولس الثاني، **نور الشرق**، رقم 6: AAS 87 (1995), pp. 749-750).

إنّ التأمّلَ في الكنيسة على أنّها سرٌّ شركة، لا ينفصلُ عن التأمّل في سرّ الثالوث الذي هو مصدرُها وإليه تسير. فالكنيسة، بشركة الروح القدس (را: 2 كو 13:13)، تشتركُ في صميم حياة الله، الذي يقوم جوهره في تبادلٍ لا يوصف للمحبة بين الأقانيم الثلاثة. وهي مدعوّة أيضًا إلى أن تنقلَ هذه الحياةَ الإلهيّة إلى العالم، وتواصلَ فيه رسالةَ الابن والروح. فيها يتمّ عمل الثالوث. لذلك هي، في الروح القدس، على نحوٍ لا ينفصل، شركةٌ وإبلاغٌ ورسالة: إنّها مميّزاتٌ تنمو في سلسلةٍ متّصلة. وهذا هو أساس النواحي الرّعائيّة لرسالة الكنيسة، وبنوعٍ أخصّ لهذا الإرشاد الرسولي، إذ إنّ الوحدة الثالوثيّة هي التي تقود إلى العمل الكنسيّ في العالم.

إنّ إلهَ يسوع المسيح غيرُ مُغلَقٍ عليه في عزلةٍ أزليّة، بل هو علاقةٌ في وحدة الجوهر بين الأقانيم الإلهيّة الثلاثة، وهو، بالنعمة، عطاءٌ ذاتيٌّ للعالم. وتبيّن لنا معرفتنا لسرّ يسوع المسيح أنّ حياة الله الباطنة هي عطاءُ الطبيعة الإلهيّة الكامل بين الآب والابن والروح: الآبِ على أنّه مصدرٌ أزليٌّ للألوهة يفيض فيضًا كاملاً في الابن الذي يلدُه، والابنِ على أنّه يقدّم ذاته نشيدَ حمد للآب منذ الأزل، في الروح القدس، الذي هو الصورة الأقنوميّة لتبادل الحبّ الكامل والأزليّ هذا.

في ضوء سرّ حياة الإله الثالوث وصميمه، نفهمُ فهمًا أكملَ سرَّ الكنيسة، هذا السرَّ الذي تحقّق بإرسال الابن إلى العالم، واكتملَ بعطيّة الروح القدس إلى الكنيسة السائرة على هذه الأرض من أجل تمجيد الآب في اكتمال الملكوت في السماوات.

ثانيًا. المسيح هو رجاء المسيحيّين

المسيح، الراعي الصالح لشعبه

إنّ رجاءَ المؤمنين في الكنيسة كلّها إنّما يُبنى أوّلاً على المسيح، كلمةِ الله المتجسّد، الذي مات وقام، وهو الآن حاضرٌ على نحوٍ سرّي في ما بينهم ومعهم على دروب العالم. وهو، على هذه الدروب، **راعيهم الصالح ونورُهم الحقيقيّ وقدرةُ الله** في ما بينهم. إنّ صورةَ الراعي الصالح هذه، الموجودةَ في أقدم التقاليد، كانت أيضًا أحد المواضيع الأكثر ثباتًا في المسيحيّة. والربّ نفسُه دعا ذاتَه هكذا. ويرى المسيحيّون في هذا التعبير صورةً تعبّر عن شخص يسوع المسيح على وجهٍ مميَّز . فهو الذي

أحبّهم حتى أقصى الحبّ (را: يو 1:13). "ليس لأحد حبٌّ أعظم من أن يبذل حياته عن أحبّائه" (يو 13:15). وقد بذل حياته عن محبّةٍ وبملء حريته وإرادته (را: يو 18:10).

كان يسوع ممتلئًا بكلّ كيانه من محبته اللامتناهة حبّ الابن لأبيه. وقد نزل من السماء لا ليعمل مشيئتَه الخاصّة بل مشيئةَ الذي أرسله (را: يو 38:6). وقد قال هو نفسُه: "هكذا أحبَّ الله العالم حتى إنَّه بذل ابنَه الوحيد، لكي لا يهلكَ كلُّ من يؤمن به بل لتكونَ له الحياةُ الأبديّة" (يو 16:3) و"هذه هي مشيئةُ أبي أن تكونَ، لكلّ من يرى الابنَ ويؤمنُ به، الحياةُ الأبديّة، وأنا أقيمُه في اليوم الأخير" (يو 40:6). فلنتأمَّلْ على الدوام في النشيد القديم الذي ينقله الينا القديس بولس: "هو القائم في صورة الله، لم يعتدَّ مساواته لله حالةً مُختَلسة؛ بل لاشى ذاته آخذًا صورة عبد، صائرًا شبيهًا بالبشر، فوُجد كبشرٍ في الهيئة، ووضعَ نفسَه وصار طائعًا حتى الموت، بل موت الصليب" (في 2: 6–8). وتُوضحُ الرسالة إلى العبرانيّين بتعابير شديدة معنى ذبيحة الربّ: "وبقوّة هذه المشيئة [مشيئة الآب]، قُدِّسنا نحن بتقدمة جسد يسوع مرَّةً لا غير" (عب 10:10).

الرجاء المسيحيُّ يُبنى على الإيمان بيسوع المسيح وعلى عطيّة محبّته. "بالإيمان [الذي] هو قوامُ المرجوّات، وبرهانُ غير المرئيّات" (عب 1:11)، نحن مشدودون إلى اكتمال مواعيد الربّ. هذا الرجاء "هو الجواب عن التوق إلى السعادة الذي وضعه الله في قلب كلّ إنسان؛ وهو يضطّلع بكل الآمال التي تُلهمُ نشاطات البشر؛ وينقّيها ليوجّهَها شطر ملكوت السماوات؛ ويحمي من اليأس؛ ويسند في كلّ تخلٍّ؛ ويوسّع القلبَ في ترقّب السعادة الأبدية. إنّ زخمَ الرجاء يصون من الأنانيّة ويقود إلى سعادة المحبّة" (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم 1818).

وما يعطي الرجاءَ ديناميّته، إنّما هو المحبّة. فليس المقصود السعي إلى اغتباطٍ فرديّ بقدر ما هو السعي إلى سعادة من نحبّ، وسعادة كلّ الجماعة البشريّة التي نعيش فيها. ولا غرو، فالمحبّة هي في أصل تجسّد كلمة الله، وحلول الروح القدس، وإنشاء الكنيسة، شركة الناس مع الله وفي ما بينهم. رجاؤنا إنّما نضعُه في شخص يسوع نفسه، عمّانوئيل، الله–معنا.

إنّ الرغبة في الاتّحاد بالرب وفي الشركة مع الإخوة إنّما هي التعبير الأسمى عن الرجاء والمحبة. وعلى وجهٍ عامّ نحن بعيدون عن أن نحيا في الملء هذه الرغبة، التي تنبع من ذاك الذي خلّصنا بدمه وأحيانا من جديد بقيامته. فهو رأس الجسد الذي نصير نحن أعضاءه بالمعموديّة، ونصير أكثر فأكثر على صورته بالإفخارستيّا؛ إنّه الكرمة التي نحن أغصانُها والتي تجري حياتها الإلهيّة فينا. الروح هو الذي ألهم كنيسته الانقياد إلى "هذا الرجاء الذي يدفعنا دومًا إلى التجدّد[...] حتى نصيرَ على صورة المسيح" (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من أجل لبنان، **النداء**، رقم 7، DC 93 (1996), p. 36). في رجاء الاكتمال النهائيّ لقصد الله، الروح والكنيسة يقولان: ""هلمَّ". ومن كان عطشانَ فليأتِ، من شاء فليأخذْ ماءَ الحياة مجّانًا. [...] آمين تعالَ أيّها الربّ يسوع" (رؤ20،17:22).

كلمة الله المتجسّد هو الراعي الصالح لشعبه، وهو كذلك إلى الأبد. لقد جاء ليجد النعجة التي ضلّت ويعيدها إلى الآب (را: لو 4:15–7). ومن علياء سمائه حيث انطلقَ ليعدّ لنا مكانًا (را: يو 2:14)، يشفع فينا لدى الآب (را: رو 34:8؛ 1يو 1:2؛ عب 17:2). لقد أوكل إلى بطرس (را: يو 15:21–17)، وإلى سائر الرسل ومن بعدهم إلى خلفائهم، أمرَ السهر بأمانة على رعيّته، في انتظار عودته في نهاية الأزمنة. وقد أرسل الروح القدس إلى كنيسته، وفيما كان يختفي عن أنظارهم (را: أع 9:1) يومَ الصعود، أكّد لها حضوره: "هاأناذا معكم كلَّ الأيّام إلى انقضاء الدهر" (متى 20:28).

المسيح، نور العالم الحقيقيّ

إنّ المصاعبَ الكثيرة التي جابهها المؤمنون في لبنان، والتي لا يزالون يعانونها في أشكال مختلفة – سواءٌ أنجمت عن ضعفهم أم عن أحوالٍ خارجيّة – غالبًا ما تنتصبُ عقبةً خطيرة أمام رجائهم (را: **المرجع السابق، أداة العمل**، رقم 19–21). أتمنى لو يسمع الجميع نداء آباء السينودس، في ختام ندائهم. كانت نقطة انطلاقهم التأمّل في صفحة رئيسة من أناجيل قيامة الربّ (را: لو24:13–35): "تلاميذ عماوس هؤلاء، إنمّا هم نحن. [...] ونحن أيضًا ساورنا الشكّ في حضور المسيح القائم من الموت في ما بيننا. ولكنّه انضمّ إلينا في الطريق [...]. ونحن أيضًا طلبنا اليه: "أمكث معنا، فقد أقبلَ الليل". ثمّ عرفناه عند كسر الخبز، إذ إنّه هو الذي يكسرُ الخبزَ ويوزّعه للمشاركة. وها نحن نعود إليكم لنقولَ لكم: "**أيّها الإخوةُ والأخوات، لا تخافوا، فالمسيح قام؛ لقد وجدناه من جديد؛ ولن نفارقه**"" (**المرجع نفسه، النداء**، رقم 63: DC 93 (1996), p. 43). أجل يسوع هو الذي يفتح عيونَ الناس ليميّزوا حضورَه. في بهاء نوره، يُدركُ التلاميذ أنّه يطلب منهم أن يحيوا بمقتضى رجاءٍ متطلّب: "**أن نرجو، إنّما هو أن نلتزمَ**" المشاركةَ والشركة، وفاقًا لما تطلبُه الجمعيّة الخاصّة (**المرجع السابق**، رقم 3).

المسيح هو النورُ الحقيقيّ الذي يُذكي فينا الرجاءَ في كلّ أبعاده، وذلك في شخصه، وفي عمله، وفي تعليمه. ففي شخصه، نكتشف معنى كياننا ومعنى رسالتنا. ولأنّه "هو نفسَه إلهٌ حقيقيّ وإنسانٌ حقيقيّ [...]، وهو بحسب اللاهوتِ من الجوهر عينِه الذي للآب، وبحسب الناسوتِ من الجوهر عينه الذي لنا نحن البشر" (مجمع خلقيدونية المسكوني: دنزينغر 301. را: **المرجع نفسه**، 302: "واحدٌ هو، وهو نفسه المسيح، الربّ، الابنُ الوحيد، الذي يجب الاعتراف به في طبيعتين (إلهية وإنسانية)، متّحدتين من دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال. إنّ اتّحاد الطبيعتين لم يُزلْ بأيّ شكلٍ من الأشكال ما فيهما من تباين، بل بالحريّ قد حُفظتْ سالمةً خصائصُ كلٍّ منهما واتحدت في شخصٍ واحد وأقنومٍ واحد")، نعلمُ أنّ عطشَ المطلق الذي يميّز طبيعتَنا ليس أمرًا باطلاً. فمعه وفيه، ملكوتُ الله، هذا الاسم الكتابيّ للّقاء الحميم بين البشريّة وربّها وللاتّحاد به، هو منذ الآن في ما بيننا (را: متى 28:12). وفي تاريخنا، وعبرَ أحداثه الصغيرة والجسيمة، يبدأ منذ الآن التقاؤنا بالله، ونحيا التزاماتٍ بنّاءةً تكتسي قيمةً أبديّةً حقيقيّة. ولقد علّم المجمعُ الفاتيكانيّ الثاني أنّ "ترجّيَ الحياة الأخرى لا يذهبُ بشيءٍ من أهمّيّة المهامّ الأرضيّة، بل بالحريّ يوفّر دواعيَ جديدةً للقيامِ بها" (المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور راعوي في الكنيسة في عالم اليوم**، رقم 21).

إنّ ملكوت الله، الذي أُعدَّ له في العهد القديم، وبوشر به في العهد الجديد، سيبلغ ملأه في نهاية الأزمنة. ومنذ الآن "فالمسيح، الذي جُعلَ بقيامته ربًّا، والذي خُوّل كلَّ سلطانٍ في السماء وعلى الأرض، يعملُ بقوة روحه القدوس في قلوب البشر" (**المرجع السابق**، رقم 38). وفي نهاية الأزمنة، عندما يجمعُ المسيحُ في ذاته كلَّ شيء (را: أف 10:1)، ليكون هكذا "الله كُلاًّ في الكلّ" (1 كو 28:15)، يومَئذٍ يفاجئُنا التحقيقُ النهائيّ للقصد الإلهي. ومع ذلك، فكما أنّ اللاهوت في المسيح لم يُذِب الناسوت بل رفعه إلى أعلى درجات الكمال، كذلك انضمامنا إلى جسد المسيح وتأهيل الزمن والتاريخ فيه لا يُزيلان قيَمَ هذا العالم بل يُكمّلانها: "فهذه القيمُ من كرامةٍ إنسانيّة، وشركةٍ أخويّة وحريّة، أي كلُّ هذه الثمار الطيّبة، ثمارِ طبيعتنا وصناعتنا، التي نكون قد نشرناها على وجه الأرض في روح الربّ وبحسب وصيّته، سنجدُها من جديد في ما بعد، مطهَّرةً من كلّ دنس، ناصعةً ومشرقة [...]. هذا الملكوت قائمٌ سريًّا على هذه الأرض منذ الآن؛ وسيبلغ كمالَه عند مجيء الربّ" (**المرجع**

السابق، رقم 39). في "السماء الجديدة" و"الأرض الجديدة"، اللذين سيحلاّن محلّ سمائنا وأرضنا، سنميّزُ بفرحٍ ملامحَ أجمل ما كان في هذا العالم وأفضلَ ما فعلناه.

إن نداء السينودس: "**أن نرجو، إنّما هو أن نلتزم**"، يعني أنّ للمسيحيّين مسؤوليةً فعليّةً في تحقيق مقاصد الله وتسريعها؛ فيمكنهم وعليهم أن يتكّلوا على الحضور الحاليّ للقائم من الموت في ما بينهم، وعلى عمل الروح الصامت في العالم. والله إنّما يتابع تدبيرَ الخلاص بمساهمةٍ من قبل الصديقّين يضطلعون بها بملء حريتهم وإرادتهم. فبفضل "نَعَم" مريم حصلنا على تجسّد الابن، وبفضل استجابة الرسل لنداء الرب بلغتنا كلمتُه الإلهيّة. والذي يبشّر بالإنجيل هو "عاملٌ مع الله" (1 كو 9:3). وبوساطة الكنيسة ومؤازرة شهادة إخوتنا، وفاقًا لإرادة يسوع الصريحة (را: متى 28:18–20؛ يو 20:21–23)، نحصلُ باستمرارٍ على الحياة الإلهيّة والاتحاد بجسد المسيح والمصالحة مع الله. واليوم أيضًا، مشيئةُ المسيح هي أن يعملَ مسيحيّو لبنان على أن يُعرّفَ اسمُه ويُحَبّ.

في هذه النظرة للأمور، لم يهملْ آباء السينودس أيّ ناحية من حياة مؤمنيهم، سواءٌ أكان ذلك على الصعيد الشخصيّ أم العامّ، على صعيد الدين أم السياسة: "في صلاتنا وتفكيرنا، لم نضعْ جانبًا أيّ مسألة من المسائل الجوهريّة، ولم نهمل أيّ فئةٍ من الأشخاص، ولم نخفّفْ من جسامة أيّ صعوبة" (سينودس الأساقفة: الجمعيّة الخاصّة من لبنان، **النداء**، رقم 2 : DC 93 (1996), p.36. هكذا أوجزوا الجهود التي بذلوها هم ومؤمنوهم، من الإكليروس والعلمانيّين، طوال مسيرتهم السينودسيّة، لتمييز "علامات الأزمنة" المدوّنة في حياة الأشخاص والكنائس المحلّية، **في ضوء حياة وتعليم معلّمهم وسيّدهم**، الذي هو مرجعنا الأخير: "إلى من نذهبُ، يا ربّ؟ إنّ عندك كلامَ الحياة الأبديّة، ونحن قد آمنّا وعرفنا أنّك أنت قدّوسُ الله" (يو 6:68–69). وفي صفاء الإنجيل، كانوا يُعلنون أنّ الرجاء يجب أن يحفزَ المؤمنين في التزاماتهم، من دون تردّدٍ، في الروح والحقّ، في الشركة مع الله ومع أعضاء الكنيسة، لجعل الحياة الاجتماعية والوطنيّة كلّ يومٍ أكثر أُخوَّةً وأكثرَ عدالة.

يقوم إذًا رجاءُ المسيحيّين بوجهٍ أساسيّ في أن يستجيبوا لتطلّبات المسيح، حيثما وضعهم، كما جاء في **الرسالة إلى ديوغنيتس**: "إنّهم في الجسد، ولكنهم لا يعيشون بمقتضى الجسد. يقضون حياتَهم على الأرض، ولكنّهم مواطنو السماء" (SC 33bis, Paris (1951), pp. 63-65: V, 8-9)، ويجتهدون في إظهار محبة الرب. ويطيبُ لي أن أذكر في هذا الصدد أقوالاً حكيمةً لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، موجّهًا إيّاها إلى مؤمني لبنان: "إنّ الحالات العصيبة التي نجابهها يجبُ ألاّ تحملنا على أن نهربَ من عالمنا، أو ننعزل عنه ، أو نذوب فيه. بل يجب بالحريّ أن تعيدَنا إلى جذور إيماننا لنجدَ فيها القوة، والثبات، والثقة، والرجاء" (رسالة مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك الأولى (1991/8/24): DC 88 (1991), p. 938). على المسيحيّين، في هذه البقعة المضطربة من العالم، أن يعوا خطورة رسالتهم، كما قال أيضًا البطاركة: "إنّ حضورنا المسيحيّ لا يريدُ أن يكونَ حضورًا من أجل ذواتنا، لأنّ السيّد المسيح لم يؤسّسْ كنيستَه كي تبقى في خدمة نفسها، بل لتكون شاهدةً وصاحبةَ رسالة هي رسالةُ مؤسّسها ومعلّمها بالذات. إنَّ إسقاطَ الشهادة والرسالة من حياتنا المسيحيّة ومسيرتنا الكنسيّة إنّما هو إلغاءٌ لذواتنا وللهدف الذي من أجله دعانا مخلّصُنا" (رسالة مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك الثانية: **الحضور المسيحي في الشرق، شهادة ورسالة** (فصح 1992)، رقم 18: DC 89 (1992), p. 599).

فالمسيحيّون هم إذًا مدعوّون باستمرارٍ إلى تجاوز مخاوفهم في ما يتعلّقُ بمصيرهم الخاصّ، ليشعروا بمخافة حكماء الله الحقيقيّة (را: أمثال 7:1؛ مز110/111: 10؛ أع34:10 –35)، تلك التي تقوم على خيانته وعدم الأمانة لبرّه: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون أن يقتلوا النفس" (متى 28:10). الثقة بالله تعني في جوهرها تكريس الذات من دون إبطاء في خدمة ملكوت المسيح: "لا تهتموا لأنفسكم بما تأكلون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. [...] أطلبوا أولاً ملكوتَ الله وبرّه، وهذا كلُّه يُزادُ لكم" (متى 6: 25،33).

كلُّ إنسان، في طريقه، يلاقي العذاب. وليس التلميذ أعظمَ من معلّمه؛ لذلك لا بدَّ له من أن يحملَ صليبَه، على مثاله. المسيحيّ لا يسعى وراء العذاب، يجب عليه أن يجاهد ضدّه، من أجله ومن أجل الآخرين (را: مثلاً: المجمع الفاتيكاني الثاني، **قرار في رسالة العلمانيّين**، رقم 8.)، لأنّه يعلم أنّه شرّ، وأنّه عاقبةُ الخطيئة منذ البدء (را: تك 3:16–19). ولكن، عندما لا يمكن اجتنابه، يحمله في الإيمان، استجابةً لنداء الربّ: "من أراد أن يتبعَني، فليُنكرْ نفسَه وليحملْ صليبَه ويتبعْني" (متى 16:24).

هذا الصليب ينطوي على آلام لا مفرّ منها في حياة البشر، ولكنه ينطوي ايضًا على ألم أن يكون المؤمن هو نفسه عائقًا أمام محبة المسيح، وانعكاسًا مشوَّهًا لوجهه. بنعمة الذي غلب الموتَ والخطيئة، هناك منطقٌ آخر يجبُ أن يقود المسيحي: "إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدة"(2 كو 17:5)، تخضعُ "لناموس المسيح" (غلا 2:6)، ناموسِ التطويبات والمحبة التي لا حدَّ لها. "ناموسُ المسيح" هذا هو ثمرةُ الروح القدس، هو "المحبةُ، والفرحُ، والسلامُ، وطولُ الأناةِ، واللطفُ، والصلاحُ، والأمانةُ والوداعةُ، والعفاف" (غلا 5:22–23). إنّه نقيضُ ناموس العالم الخاضع لقوّة الخطيئة، الذي ينجم عنه "الفجورُ، والنّجاسةُ، والعَهَرُ، وعبادةُ الأوثانِ، والسّحرُ، والعداواتُ، والخصوماتُ، والأطماع، والمغاضبات، والمنازعاتُ، والمشاقّاتُ، والبدع، والمحاسداتُ، والسُّكرُ، والقصوفُ، وما أشبه ذلك" (غلا 5:19–21). ويذكّرُ القديس بولس أنَّ كلّ إنسان يختبر في جسده وفي فكره هذه المشادّة التي تميّز وضعَ الخلائق الخاطئة: "الإنسانُ الباطنُ فيَّ يُسرُّ بناموس الله؛ بيدّ أنّي ارى في أعضائي ناموسًا آخر يحاربُ ناموسَ عقلي، ويأسرني لناموس الخطيئة الذي في أعضائي" (رو 7:22–23). وعواقبُ امتلاك الخطيئة يمكنُ أن تعرّضَ السّلْمَ الاجتماعي للخطر، وتغذّيَ صداماتٍ مدمّرة.

يعلمُ المؤمن أنّه، في كلّ صليب يقبلُ أن يحملَه محبّةً بالمسيح، يشتركُ معه في خلاص العالم: "إنّي لأفرحُ الآن في الآلام التي أقاسيها لأجلكم، وأتمُّ في جسدي ما ينقصُ من مضايق المسيح، لأجل جسده الذي هو الكنيسة" (كو 1:24). وهو يعلم أيضًا أنّ الكلمةَ الأخيرة في مواجهة الشرّ هذه، إذا جرت بمقتضى المسيح، هي غلبة القيامة: "لأنّا إذا كنّا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته، نصيرُ أيضًا بشبه قيامته" (رو 6:5؛ را: في 3:10–11).

الكنيسةُ الكاثوليكيّةُ في لبنان مدعوّةٌ، على ضوء شخص المخلّص وحياته وتعليمه، إلى تجديد ذاتها، في ديناميّة الرجاء وسخاء المحبّة، لقاءَ تضحياتٍ حقيقيّة، إن لزمَ الأمر (را: يوحنا بولس الثاني، الرسالة العامّة **تألّق الحقيقية**، رقم 90–93؛ ASS 85 (1993), pp. 1205-1205)، في الأمانة المطلقة للربّ، وللرسالة التي أوكلها إيّاها، وللروح الذي يريدُ أن تحقّقها فيه.

المسيح، قدرةُ الله

إنَّ المأساةَ التي عانتها الكنيسةُ الكاثوليكيّة في لبنان في هذه السنوات الأخيرة كانت لها مناسبةً قاسيةً لتشعرَ بضرورة الارتداد فتحيا بمقتضى الإنجيل، وتبقى متّحدة، وتتحاورَ في الحقّ مع سائر الكنائس والجماعات المسيحيّة من أجل التقدُّم شطرَ الوحدة الكاملة، وتبنيَ أيضًا، مع سائر المواطنين، مجتمعًا قادرًا على الحوار المنفتح، وعلى العيش معًا، وعلى التنبّه للآخرين، ولاسيّما للإخوة الأكثر حرمانًا.

جليٌّ أنّ مثل هذا التجديد يتجاوز بوجهٍ مطلَق القوى البشريّة. وهذا يعرفُه المسيحيّون وهم حريصون على إعلانه ليتمجّد الله به. إلاّ أنّهم يضعون ثقتهم في الله، "الكثير الرحمة والوفاء" (خر 6:34)، الذي "مواهبه ودعوته هي بلا ندامة" (رو 29:11)، هو الذي يعرف عمقَ ضعفنا. ويضعون ثقتهم في يسوع المسيح، "فإنّ مواعد الله كلَّها قد وجدت فيه "نعم"" (2 كو 20:1). "وإن لم نثبتْ على الأمانة، فهو يبقى أمينًا، لأنّه لا يقدرُ أن يُنكرَ ذاتَه" (2 تي 13:2). ويضعون ثقتهم في الروح القدس، الذي يذكّرهم كلّ ما علّمهم إيّاه يسوع (را: يو 26:14)، والذي يحملُهم على التجدُّد (را: رو 6:7)، وعلى تكوين جسدٍ واحدٍ (را: 1 كو 13:12) وعلى النموّ في الشركة والرجاء الواحد (را: أف 3:4–4).

لذلك يجب على كنيسة لبنان أن ترتكز، في صميم رجائها، على المسيح، هو الكلمة المتجسّد، الذي غلب الخطيئةَ والموتَ. صحيحٌ أنّ الشرَّ والموتَ لم يُلغَيا، وأنَّ الجميع يشعرون بعواقب الخطيئة، سواءٌ أكان ذلك في كيان كلّ فردٍ أم في العلاقات بين الأشخاص وبين الجماعات. ولكن، بالمسيح، يستطيع الناسُ أن يكونوا في شركة حياةٍ مع الله وبعضهم مع بعض.

للتغلّب على الشرّ، وللارتداد إلى التواضع، وللتمكّن من التجرّد، وللسيطرة على الأنانيّة، ولفهم "أنّ العطاء أعظم غبطةً من الأخذ" (أع 35:20)، وأنّ الاهتمام بالآخر يجلب سعادة أكبر من الانغلاق على الذات، لا يستطيعُ أحدٌ أن يتّكل على قواه وحدَها. ولقد حذّرنا المسيح بقوله: "بدوني لا تستطيعون شيئًا" (يو 5:15)؛ ولقد قوّى أيضًا القديس بولس بقوله: "تكفيك نعمتي: لأنّ قوّتي يبدو كمالُها في الوهْن" (2 كو 9:12)؛ وكذلك نبّه تلاميذه: "في العالم ستكونون في شدّة. ولكن، لتطبْ نفوسكُم! إنّي قد غلبتُ العالم" (يو 33:16).

لذلك، يا أبناء وبنات الكنيسة الكاثوليكيّة في لبنان الأعزاء، إنّ الجمعيّة الخاصّة لسينودس الأساقفة تحثّكم على أن تدعوا المسيح يُدرككُم، لكي تنموا في الشركة التي يستطيع هو وحده أن يجعلَها كاملة. إذّاك تستطيعون أن تتابعوا بشجاعةٍ حوارًا صادقًا وبنّاءً مع مواطنيكم. هذا الحوار يفرضُ تقشّفًا في الإصغاء والكلام. وهذا يعني: إرادةَ ومعرفةَ فهمِ ما تنطوي عليه أقوالُ الشخص المخاطَب وتصرّفُه من معنىً عميق، وإدراكَ مصدرِ خبرتِه والآفاق البشريّة التي يوجدُ فيها، والتعبيرَ بطريقةٍ تجعلُ الآخرَ يفهم جيّدًا ما يقال، والتصرّفَ بمقتضى الإنجيل، بحيث تؤيّد شهادة الحياة مصداقيّة الكلام. هكذا تصيرون أمناء لرسالة البشرى التي أودعها الربّ كنيستَه: "إذهبوا وتلمذوا جميعَ الأمم، [...] وعلّموهم أن يحفظوا جميعَ ما أوصيتُكم به" (متى 19:28–20).

من منظور الإيمان والمحبّة، لا يمكن الذهابُ إلى الآخر أن يقتصرَ على إبلاغه ما فهمناه من المسيح، بل يقوم أيضًا على أن ننال منه الخير والحقّ اللذين أعطي له أن يكتشفهما. هكذا ننمو في معرفةٍ مطّردة للإله الحقيقيّ الأوحد وللذي أرسله، ابنِه يسوع المسيح (را: يو 3:17). فإذا كانت "النعمة والحقيقة قد حصلا [لنا] بيسوع المسيح" (يو 17:1)، فإنّ روحَ الله الذي يهبُّ في الكنيسة، يهبُّ أيضًا في الجماعة البشريّة كلّها جمعاء. وكما يعلّم المجمع الفاتيكاني الثاني، "من الواجب علينا أن نكون على يقينٍ من أنَّ الروحَ القدس يمكّن الجميعَ، بطريقةٍ يعرفُها الله، من الاشتراك في السرّ الفصحيّ"

(المجمع الفاتيكاني الثاني، **دستور راعوي في الكنيسة في عالم اليوم**، رقم 22). "إنّ النعمةَ تعملُ بطريقةٍ غير منظورة في قلوب جميع الناس ذوي الإرادة الصالحة" (**المرجع نفسه**).

هذا كلّه تعلّمته الكنيسة من **المسيح، الراعي الصالح**، ومنه تنال القوة لتحيا فيه، حتى يؤمن الناس به ويدخلوا الحياةَ الجديدة. إنّها حاضرةٌ، على مثال يوحنا المعمدان، "لتشهدَ للنور" (يو 7:1)، لأن الروحَ كشف لها أن "الكلمةَ كان **النورَ الحقيقيَّ الذي ينير كلَّ إنسان**" (يو 9:1)، وأنّه وحدَه "**قدرةُ الله** وحكمةُ الله" (1 كو 24:1). فيه وبه يعرفُ الإنسان ذاتَه، ويكتشفُ معنى حياته، ويكتسبُ القدرةَ على أن يسلكَ طريقَ الحياةِ الحقيقيّة وأن يقودَ اليها الآخرين.